قسم اللغة والأدب العربي _جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (مدارس لسانية) سنة ثانية ليسانس، تخصص: دراسات نقدية

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

عنـــوان المحاضرة: المدرسة التوزيعية

المدرسة التوزيعية:

لاشك في أنّ اللسانيات الأمريكيّة[1] (ممثلة في سابير وبلومفيلد وهاريس وغيرهم) يعدّ جزءًا من اللسانيات البنوية؛ فهي تسعى سعيها، وتنتهج منهجها، وتعمل بمبادئها الرئيسة مثل: الدراسة الصورية للغة، ودراسة العلاقات قبل الوحدات، وسلوك منهج الوصف والتصنيف لغرض نمذجة اللغة، واتبّاع المنهج العلمي الموضوعي، وغيرها.

ولعلّ من أبرز مظاهر الاختلاف بين البنيوين اختلافهما في ظروف المنشأ ومنطلقات التأسيس، فإذا كانت اللسانيات الأوروبية قد نشأت في ظل الاهتمام بالمنهج الوصفي التزامني الذي انتبه إلى أهميته سوسير أثناء نقده لمنهج الدراسة التاريخية، وتحت تأثير

1-مرّ المسار المنهجي للسانيات الأمريكية بثلاث مراحل : اللسانيات النفسية، اللسانيات السلوكية، اللسانيات التوزيعية.

الحاجة إلى منزع إبستيمولوجي ومنهج جديد لتطوير الدّرس اللغوي وترقيته فإنّ اللسانيات الأمريكية قد قامت استجابة لتوجهات أنثروبولوجية تسعى في ظل شروط ومعطيات اقتضاها البحث العلمي في بعده السياسي النفعي[2] إلى دراسة اللغات الهندية الأمريكية بغرض التعرّف على البنية الفكرية والنفسيّة للهنود الحمر.

سابير واللسانيات النفسية:

تمثل أعمال سابير طليعة البحث اللساني البنوي في أمريكا، ونقطة البدء فيه وذلك من حيث إنّها هيّأت لممارسة البحث اللساني الجريء على مخالفة نظريات القدامى، وغذّت في اللسانيين اللاحقين روح التطلّع إلى الجديد الذي يتساوق والظروف العلمية والتطوّرات المعرفية السائدة، ومن حيث إنّها قدّمت النماذج الأولى للدّراسة الوصفية التصنيفيّة القائمة على مبدأ التحليل الصوري خصوصا في ميدان الدّرس الصوّتي.

ومع ذلك فإنّ دراسات سابير ذات الطابع النّفسي لم ترُق لبعض اللسانيين، نعني بذلك بلومفيلد الذي تراءى له في مرحلة من مراحل دراسته اللسانية أن يخالف دعاة اللسانيات النفسية، وأن يؤسس لمنهج جديد في اللسانيات استلهم مبادئه من تأثّره بالطروحات الجديدة

2-ظهر البعد السياسي لدى الأمريكيين في سعيهم خلال ق 19م، إلى المحافظة على التراث اللغوي الحضاري الذي كانت تزخر به بلادهم نتيجة وجود مئات الألسن المحلية التي كانت تتكلم بها قبائل الهنود الحمر، وللقيام ببعض الأعمال والمهام الإدارية والعسكرية (بسط الهيمنة وتوحيد البلاد والإدارة الترابية)، والتواصل مع الأقليّات الهندية الأمريكية، كان لابّد من معرفة بنيات هذه الألسن في شموليّتها، بما فيها الشروط الاجتماعية والثقافية والتقاليد والعادات.

لعلم النفس السلوكي، وجعل غرضه في الاهتمام بالمعطى الطبيعي في النشاط اللغوي بدلا من المعطى النّفسي الذي دعا إليه سابير، وكرّس أعماله لدراسته. وبسبب هيمنة النظرية السلوكية لدى بلومفيلد في ساحة البحث اللساني في أمريكا لم تلق أعمال سابير الرّواج، وظلّت مهجورة إلى أن ظهر تشومسكي ليبعثها من جديد في نظريّته، نظريّة النحو التوليدي التي ثار بها على البنويين.

1-بلومفيلد واللسانيات التوزيعية السلوكية:

احتلّ بلومفيلد (1887-1949) منزلة جدّ مرموقة في اللسانيات الأمريكيّة بفضل ما قدّمه، في كتابه "اللغة" من مفاهيم وتصورات لسانية جديدة أسهمت في تأسيس المذهب البنوي الأمريكي، وحدّدت معالمه المنهجية المتميّزة ضمن مسار يختلف عن المسار الذي اتّخذه سابير للسانيّاته.

غير أنّ الناظر في كتاب بلومفيلد، أو بالأحرى في طبعتي كتابه سيجد أنّه اجتاز في مشوار دراسته مرحلتين مختلفتين بل متعارضتين من حيث الخلفية المنهجيّة المعتمدة؛ في المرحلة الأولى كان متمسّكا بمبادئ اللسانيّات النفسيّة، وهي المرحلة التي توجهّا بإصدار كتابه في طبعته الأولى (1914) متأثّرا في إعداد مضامينه بالدراسة النفسية لويليام فونت، ومواقفا في عرض قضاياها اللسانية معاصرة ساسبير.

أمّا في المرحلة الموالية التي أعاد فيها طبع كتابه بعنوان جديد وبصياغة منهجية جديدة (1933) فقد قاده تطوّر اللسانيات من حوله وتجاربه الشخصية في التحليل اللساني إلى الاقتناع بأنّ الباحث اللساني بإمكانه أن يُجري دراسته للغة دون الرجوع إلى المعطى النفسي، وأنّ التحليل اللساني سيكون رابحا إذا تحرّر من هذه التبعيّة، وبهذا الموقف الذي يبدو فيه التحوّل واضحا بين خلفيّتين منهجيتين متعارضتين يكون بلومفيلد قد قابل ما يسمى بالذهنيّة مع ما يسمى بالميكانيكية مقابلة يمكن القول إنّها أصبحت أساسية في اللسانيات العامة الأمريكية.

انطلق بلومفيلد في تفكيره اللساني من همِّ الإجابة عن السؤال الإبستيمولوجي الكبير والهام: ماهي المقاييس التي ينبغي أن تطبّق على الدراسة اللسانية من حيث هي علم؟ فكان جوابه التطبيق الصارم للمنهج التجريبي الذي ينطلق من تتّبع المادة اللغوية في مظهرها الفيزيائي. وقد كان الرافد العلمي الذي أمدّه بهذه الخلفية المنهجيّة هو اتّجاه جديد في علم النفس يدعى السلوكية. فمن أجل أن يجعل التحليل اللساني علميّا قدر الإمكان ينبغي أن يُنظر إلى اللغة على أنّها "نتاج آلي واستجابة كلاميّة مختزلا جميع العمليات (السلوكات) اللغوية، كغيرها من السلوكات الأخرى بما فيها سلوك الحيوان في صورة مثيرات واستجابات مصوغة في معادلات رياضية.

مثال: لبلومفيلد مثال يوضّح فيه أساس هذه النظرية يتمثل في قصته المشهورة قصة جاك (فتى) وجيل (فتاة):

أ–"جاك وجيل يسيران في الطريق تشعر جيل بالرجوع، وتنظر إلى تفاحة في شجرة.

ب–فتُصدر أصواتا بحنجرتها ولسانها وشفتيها تدعو بها جاك لأن يحضر لها تفاحة من على الشجرة.

جـ–يستجيب لها جاك فيقفز على الجدار، ثم يتسلّق الشجرة، ويأخذ تفاحة، ويحملها إلى جيل، ويضعها في يدها فتتناولها وتأكلها.

بلومفيلد في تحليله لا يهتم بالمعطيات النفسية المتمثلة في الحوافز الداخلية السابقة لفعل الكلام، ولا بما يسبقه ويليه من أحداث غير لغوية في هذه العملية التواصلية، بينما يهتم بالفعل الكلامي ذاته، وبالتصرّف السلوكي المتضمّن فيه، ويرى أنّه هو –وحده– الحريّ بالدراسة.

ومن أجل تقديم تحليل أكثر دقة وعلميّة يقدم بلومفيلد وصفه لمجموعة السلوكات الملاحظة في هذه القصة من خلال صياغة رياضيّة كالآتي:

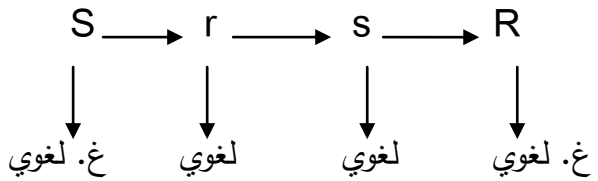

–في القسم (أ) يتمثل المثير غير اللغوي (الشعور بحافز الجوع)، وقد رمز له بـ S.

–في القسم (ب) تتمثل الاستجابة اللغوية (إصدار الأصوات الكلامية) للمثر غ. اللغوي (حافز الجوع) وقد رمز لها بالرمز (r).

–في القسم (ب) يتحول ماكان استجابة لغوية عند جيل (إصدار الأصوات الكلامية) إلى مثير لغوي عند جاك (سماع هذه الأصوات، ويرمز له بـ s.

–في القسم (ج) تقع الاستجابة غير اللغوية (تسلق الشجرة لإحضار التفاحة وتسليمها لجيل) للمثير اللغوي المتمثل في القسم (ب) ويرمز لها ب (R).

2–زليغ هاريس واللسانيات التوزيعيّة:

تقوم النظرية اللسانية التوزيعية في أعمال هاريس على إضافات أدخلها على ما جاء به أستاذه بلومفيلد، فهي امتداد للمفاهيم والمبادئ التي جاءت بها لسانيات بلومفيلد، مثل مفاهيم التحليل إلى المكوّنات الغريبة، والدراسة العلمية القائمة على الوصف والتصنيف، وإقصاء المعنى من التحليل، وغيرها من المفاهيم التي استطاع هاريس وغيره أن يطوّروها وأن يصوغها صياغة نظرية متكاملة سميت بالنظرية التوزيعية.

ومن أهم المبادئ التي تميّزت بها النظرية التوزيعية لدى هاريس مايلي:*

–السعي إلى وصف وحدات اللغة ومكوّناتها في الجمل والتّراكيب، وتحديد نماذجها من أجل تصنيفها في صورة أقسام (أو فئات) نحوية اندراجيّة، ويشترط هاريس ومعه سائر التوزيعيين في تأسيس هذا العمل القائم على الوصف والتصنيف، إدامة النّظر في النّصوص التي يستخرجونها من المدوّنة،

* التوزيع هو المواقع التي نجد فيها الوحدات داخل جمل تنتمي إلى متن لغوي معيّن.

المنهج التوزيعي: منهج تحليلي يعتمد على ملاحظة الجوار للعنصر لتحدي فئته الوظيفية وخصائصه دون التركيز على المعنى، معتمدا على اختبار الاستبدال لتصنيف الوحدات المتشابهة، فإحلال وحدة مكان أخرى إذا لم يتغير السياق فإن الوحدتين تنتميان إلى فئة واحدة.

الهدف: تحديد فئة العنصر اللغوي (اسم، فعل، حرف) بناء على موقعه في الجملة.

ويتميّز هذا الإجراء التحليلي بكونه يتجاوز عملية التحليل المحصورة في الطبيعة الخطيّة؛ أي أنّه لا يكتفي بالوقوف على العلاقات القائمة بين وحدات الجملة الظاهرة فحسب، بل يسعى عن طريق تطبيق مفهوم العلاقات الاستبدالية إلى معرفة جميع العلاقات الممكنة بين الوحدات الظاهرة والوحدات غير الظاهرة التي يمكن أن تحلّ محلّها –على مستوى المحور الاستبدالي– في السياق اللغوي نفسه، وهذا ما يسمى بالتحليل التوزيعي في نظرية هاريس.

–العلاقات الاستبدالية والتركيبية: مطبوعة عنابة.

–خطوات التحليل التوزيعي: مطبوعة عنابة.

–خطوات التحليل التوزيعي:

بداية يجب تحديد المدونة، وعينة الدراسة، وهي عبارة عن مجموعة من الوحدات اللغوية أو الملفوظات المتناسقة والمنسجمة، ومن ثم نقوم بتحليلها، وتقطيعها ثم المقارنة بين الوحدات المتقاربة والمتشابهة، حيث تسمح لنا هذه المقارنة بتحديد المورفيمات.

–التحليل إلى مؤلفات، أي تفكيك بنية الجملة على أنها مكونة من مستويات، من مكونات الجملة بعضها أكبر من الآخر، إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات، لكون المورفيم morphème وحدة دنيا تفيد دلالة، يبرزها التحليل. ومصطلح مؤلف constituant يطلق عندهم على كل مورفيم، أو ركن كلامي يمكن ان يدرج ضمن بناء أكبر. ومؤلفات الكلام في نظرهم قسمان: أ–مؤلفات مباشرة: هي مكونات الجملة القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر. ب–مؤلفات نهائية: هي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر، مثال: (كتب الطالب درسه).

مؤلفات مباشرة: -كتب -الطالب- درسه-، ويمكن تحليلها إلى مؤلفات أيضا: -الطالب: ال+طالب – درسه: درس+ه – وبذلك نحصل على مؤلفات غير مباشرة نهائية لهذه الجملة، وهي: ك+ت+ب+ال+ط+ا+ل+ب+د+ر+س+ه.

إن هذا المذهب في التحليل اللساني ظهر أولا مع بلومفيلد وتطور على يد هاريس إلى ما يعرف باسم التحليل إلى المكونات المباشرة Analyse aux constituant immédiats وعليه لم تعد الجملة في هذا الاتجاه سلسلة خطية بسيطة، بل إنها تبدو في شكل هرمي، قاعدته الجملة (ج) التي تتفرع إلى مجموعة من الطبقات (تحتوي الكلمات) تدعى المكونات المباشرة، حيث كل مكون مباشر متداخل فيما قبله. أي هو جزء من الطبقة التي تفرع منها، وهكذا يتم تقطيع الجملة إلى وحداتها الكلامية (أي مكوناتها المباشرة) عن طريق استبدال كل مكون بأصغر وحدة ترادفه وتؤدي معناه، حتى يتحصل في الأخير، على أصغر مورفيم لا يدل على معنى، بحيث لا يمكن تجزيئه مرة أخرى.